حواء

وأصل الخطيئة

مناقشة بعض الاعتراضات على رواية الكتاب المقدس

وإبطال دعوى تعارض القصة مع القرآن الكريم

كتبه:

المنهوم الحنبلي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الأنفس فسواها، وألهمها فجورها وتقواها، وأفضل الصلاة وأزكاها على من ترقى في ربا النبوة أعلاها فعلاها، سيدنا محمد شمس الهدى والرشاد، وعلى آله وصحبه الزهاد، صلاة تظلنا يوم قيام الأشهاد.

وبعد، فقد جرَّأتني على هذه الكتابة غيرتي على مقام الأئمة والصحابة، لما رموا بالجهل تصريحا وبالعماية تلويحا، فأمليت في النقض النظر، وقلبت فيه الفِكَر، حتى من الله بالمكتوب مع قلة البضاعة، وعدم أوان الفطام من الرضاعة، فرحم الله عبدا إذا قرأ كلماتي ذكرني في صالح دعائه، وجميل ثنائه. واسأله سبحانه التوفيق والإعانة، فإنه خير مسؤول وأكرم مأمول.

وقد تضمنت هذه الورقة الموضوعات التالية:

١- القصة كما في سفر التكوين.

٢- القصة كما في القرآن العظيم.

٣- مناقشة الاعتراضات على القصة

٤- بيان مثارات الغلط.

٥-جدول مقابلة القصتين.

٦-تنبيهات.

٧- خاتمة.

«اللَّهمَّ ربَّ جبرائيلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ أنتَ تحكُمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفونَ، اهدِني لما اختُلِفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِكَ، إنَّكَ تهدي من تشاءُ إلى صِراطٍ مستقيم».

• قصة الخطيئة في الكتاب المقدس

١- وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟ ٢- فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ. ٣- وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلا مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا. ٤- فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: لَنْ تَمُوتَا! ٥- بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. ٦- فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ.

٧- فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. ٨- وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. ٩- فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ أَنْتَ؟ ١٠- فَقَالَ: سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ. ١١- فَقَالَ: مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟ ١٢- فَقَالَ آدَمُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ. ١٣- فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ. ١٤- فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ، عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. ١٥- وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ. ١٦- وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ.

١٧- وَقَالَ لآدَمَ: لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. ١٨- وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ

لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. ١٩- بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ[1].

• القصة في القرآن العظيم

جاءت الآيات التي تناولت قصة آدم وحواء -عليهما السلام- في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: في سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إلى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

الموضع الثاني: في سورة الأعراف: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

الموضع الثالث: في سورة طه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾.

---

(١) سفكر التكوين – الإصحاح الثالث.

• الاعتراضات على القصة في الكتاب المقدس[١].

ويمكن إجمال اعتراضاتهم على ما في الكتاب المقدس في نقاط:

الاعتراض الأول: متجه على دعوى إغواء إبليس لحواء أولا.

وقبل ذكر الاعتراض ومناقشته، فالأمر لا يخلو من ثلاث احتمالات في أولية الإغواء:

أ- أن يكون إبليس قد أغواهما معا دون أسبقية لأحدهما على الآخر.

ب- أن يكون إغواء آدم أولا، وهي مقالة يذكرها بعضهم، أو لا يستبعدها.

ج- أن يكون إغواء حواء أولا، وهي مقالة أهل الكتاب.

والمناقشة هنا ستكون للمقالتين (أ) و (ب).

- **أصحاب المقالة (أ):**

قالوا: نصَّ القرآن على أن إبليس «قَاسَمَهُمَا» فظاهر الآيات يفيد أن الإغواء كان لآدم وحواء معًا، وهذه المعية تتنافى مع قول أهل الكتاب في إغواء حواء أولا[٢].

والجواب على هذا من وجوه:

- **الوجه الأول:** منع دعوى دلالة ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢١] ﴿فَأَكَلَا﴾ [طه: ٢١] على اتحاد زمان الحدث؛ لأن الزمان مبهم، وتعيين المبهم بلا دليل تحكم.
- **الوجه الثاني:** أن اللفظ مركب من نحو الفعل «قَاسَمَ» وضمير التثنية «هُمَا»، وضمائر التثنية لها حكم التثنية، والتثنية تفيد المشاركة في الحدث، لا في الزمان، كالعطف؛ لأنها فرع عنه[٣].

---

(١) اقتصرت على ذكر ما اعترض به على ما في سفر التكوين؛ لأنها المذكورة غالبا من أهل الإسلام، وتركت ما جاء في الأسفار غير القانونية كما في سفر أسرار أخنوخ؛ لعدم توجه الاعتراضات عليها في الغالب.

(٢) انظر على سبيل المثال: فتاة الضباب ص١٩. وجاء فيه: «ظاهر القرآن يدل على أن آدم وحواء قد أكلا من الشجرة معا، لا أن حواء سبقته». وانظر كذلك: سفر التكوين في ميزان القرآن الكريم، صلاح الخالدي، ص٧١ – ٧٣.

(٣) انظر: اللباب في علوم البناء والإعراب، أبو البقاء العكبري، تحقيق: عبد الإله النبهان، ج١، ص٩٦.

والعطف يقتضي التشريك في الحكم بين المتعاطفين سواء اقترنا بالزمان أم لا[١]، ولهذا يقول الأصوليون عن واو العطف: «تقتضي الجمع بين الشيئين من غير ترتيب في الزمان»[٢]، وعليه فقوله عز وجل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢١] ﴿فَأَكَلَا﴾ [طه: ١٢١] دالٌّ على وقوع الوسوسة والمقاسمة والأكل لكل من آدم وحواء، دون إشارة لزمن وقوع ذلك. ولا يلزم من التثنية إلا التشريك بين الاثنين في الحكم الذي سيق الكلام لأجله، ولا يلزم التشريك بينهما في غير ذلك من عوارض الكلام من عموم وخصوص وظروف وأحوال[٣].

- **الوجه الثالث**: لو كانا أكلا معا في نفس الوقت، لما صح قوله ﷺ «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»، ولكان آدم مثلها وأولى في استحقاق وصف الخيانة؛ لأنه القوام، فإما:
  - ◊ أن يكون **آدم أكل أولا** وتركت حواء نصحه.
  - ◊ أو تكون حواء أكلت **أولا** ثم زينت لآدم الأكل.

وأما القول بأنهما أكلا معا، فلا يستقيم مع التسليم بالحديث، سواء فسرت الخيانة بالتزيين أو بترك النصيحة[٤].

- **أصحاب المقالة (ب)**:

قالوا: يفهم من الآيات أن آدم هو من استمع للوسوسة **أولا**، بدليل قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠] [٥] وقوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]. [٦]

---

(١) انظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، ج٢، ص٢٧٣.

(٢) تقريب الوصول إلى علم الأصول، ابن جزي الغرناطي، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، ص١٦٧.

(٣) انظر: رفع النقاب عن تنقيح الشهاب، الحسين الرجراجي، تحقيق: أحمد السراح وعبد الرحمن الجبرين، ج٣، ص١٥٦.

(٤) وسيأتي الكلام على معنى الخيانة إن شاء الله.

(٥) انظر حواء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن، فتنت مسيكة، ص٩٠.

(٦) انظر مجلة الفكر الإسلامي المعاصر: إسلامية المعرفة، العدد ٦٧، نماء البناء، ص٣٠.

والجواب على ذلك إجمالا وتفصيلا:

أما الجواب الإجمالي:

فبالمنع والنقض، كالوجه الأول والثاني في الجواب على أصحاب المقالة (أ)؛ فالآيات لا تدل على وقوع الوسوسة والأكل لآدم أولًا؛ لأن الزمان غير معين، وغاية ما فيها ذكر وقوع ذلك، وهذا لا يستلزم أوليتها لآدم.

وأما الجواب التفصيلي فيقال:

- **أولا**: أما قوله تعالى ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه: ١٢٠] فلا حجة فيه لهم؛ لأن الله قال أيضا ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠] والقصة واحدة.
- **ثانيا**: قوله تعالى ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه: ١٢١] فلا حجة فيه أيضا؛ لأن حواء زين لها كما زين لآدم، وعصت كما عصى في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦]، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢١]، ﴿فَلَمَّا ذَاقَا﴾ [الأعراف: ٢٢]، ﴿فَأَكَلَا﴾ [طه: ١٢١]، وقد احتجَّ بعض هؤلاء بأن التثنية تفيد الاشتراك في الحدث والزمان معا[١]، فانظر كيف تركوا التمسك بدليلهم هاهنا.
- **ثالثا**: قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ﴾ [طه: ١١٥]، فلا دليل فيه على ابتداء آدم في الغواية؛ لأن توجيه الخطاب إلى آدم دون حواء إنما هو باعتبار كونه النبي المبلغ، ولا علاقة لذلك بالزمان. ولهذا تكرر في كتاب الله قوله سبحانه ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿ويَا آدَمُ﴾ [الأعراف: ١٩]، ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ [طه: ١١٧]، فناسب أن يكون إخبار الله سبحانه عنه، وأما حواء فتبع له[٢]، ولهذا يقول محمد الخيرابادي: «فلا يستدل بعدم توجيه الخطاب إليها على أنها لم تكن بادئة أو محرضَّة»[٣].

---

(١) المصدر السابق، ص٢٩-٣٠.

(٢) انظر: المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين، محمد زريوح، ج٣، ص١٦٤٥.

(٣) حديث لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر، محمد أبو الليث الخيرابادي، ص٧٥.

وهاهنا دليل لهم لم أر من ذكره منهم، لكن ذكره صاحب المعارضات، وهو أن يقال: آدم هو المبتدر إلى الأكل؛ لأن الخيانة في قوله ﷺ: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» مفسرة بتركها النصح، ولو كانا بادرا معا لما صح انفراد حواء بالخيانة دون آدم، بل لكان وصفه بذلك أولى؛ لأنه القوام عليها، وقد ترك نصح زوجته[1].

والجواب عليه من وجوه:

- **أولا**: بمنع تفسير الخيانة بترك النصيحة هنا، بل هو قول لا دليل عليه.
- **ثانيا**: سلمنا أن الخيانة تعني ذلك، فمن أين لكم حصرها في هذا المعنى؟ كيف والسلف على أن الخيانة هي التزيين كما صح عن ابن عباس[2]، وروي عن ابن مسعود وغيرهما[3].
- **ثالثا**: سلمنا أن الخيانة محصورة في ترك النصيحة، لكننا لا نقول أنهما أكلا سويا حتى يرد الاعتراض المذكور، بل يحتمل أن يقال: وسوس لهما الشيطان، فأكلت حواء دون علم آدم، ثم أكل هو بعد علمه بأكلها؛ **ففات محل نصحه لها ولم يفت محل نصحها له**، فلا تلازم بين تفسير الخيانة بترك النصيحة، وبين القول بابتدار آدم الأكل. وهذه معارضة جدلية.

الاعتراض الثاني: متجه على دعوى تزيين حواء الأكل لآدم.

وقبل ذكر الاعتراض، فالأمر لا يخلو من أربع احتمالات فيما يتعلق بإغواء أحدهما للآخر:

أ- أن يكون كل منهما زين الأكل للآخر، ولا قائل به -فيما أعلم-.

ب- أن يكون آدم زين لحواء الأكل، ولا أعلم من صرح بذلك.

ج- أن تكون حواء زينت لآدم الأكل، وهو قول أهل الكتاب.

د- أن يكون التزيين غير واقع من أحدهما للآخر، بل من الشيطان وحده.

---

(١) انظر تقريره في المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين، محمد زريوح، ج٣، ص١٦٤٤.

(٢) انظر المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل ابن حجر العسقلاني، تنسيق: سعد الشثري، ج١، ص١١٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، ج١، ٥٦٣، و ج٢، ص١٨٩.

والمقالة الأخيرة هي محل المناقشة، ولإبطال دعوى أهل الكتاب قال المعترضون: الآيات القرآنية ذكرت **وسوسة إبليس واشتراكهما** في الخطيئة، بينما يزيد الكتاب المقدس بأن حواء زينت الأكل لآدم. ثم ركبوا قياسًا وهميًّا، **صغراه**: القصة في التوراة تخالف ما في القرآن، **وكبراه**: وكل ما كان كذلك فمردود. **فالنتيجة المنطقية** = القصة كما في الكتاب المقدس مردودة.

والجواب على ذلك من وجوه:

- **الوجه الأول**: منع صغراه، وهذا كافٍ في إبطال نتيجة القياس، فالقصة لا تخالف ما في القرآن؛ بل يقال: فيها تفاصيل لم يذكرها القرآن، ومجرد الزيادة على القرآن لا تعني المخالفة[1]، بيانه:
- **الوجه الثاني**: ما عند أهل الكتاب ينقسم بالمقارنة مع ما في القرآن إلى ثلاثة أقسام:
  - ◊ **القسم الأول**: موافق للقرآن.
  - ◊ **القسم الثاني**: مناقض متعارض معه.
  - ◊ **القسم الثالث**: مسكوت عنه في القرآن، ومسألتنا من هذا القسم.
- **الوجه الثالث**: المنع بالسند اللمي، فيقال: لا نسلم أن الاشتراك في الخطيئة منافٍ لتزيين حواء ابتداءً، لم لا يقال: وسوسة الشيطان لم تؤثر في آدم أول الأمر، لكن إبليس استطاع إغواء حواء بعد ذلك، فزينت لآدم الأكل فأكل. ويشهد لهذا ما روي عن بعض الصحابة والتابعين عند الطبري (ت: ٣١٠هـ): «وحلف لهما بالله ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾... **فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كل**»[2].

---

(١) انظر تفسير القرآن بالإسرائيليات - نظرة تقويمية، مساعد الطيار. في كتاب: مراجعات في الإسرائيليات، إعداد مجموعة من الباحثين، ص١٩١. والتحرير في أصول التفسير، مساعد الطيار، ص١٦١.

(٢) جامع البيان ج١، ٥٦٣، وج٢، ص١٨٩.

- **الوجه الرابع**: المعارضة بما ورد في السنة وهو قوله ﷺ «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر»[1]، مع اعتبار تفسير الصحابة والتابعين لذلك بالتزيين[2]. فالآيات مجملة، والآثار مبينة للقرآن ومفصلة لما أُجمِل فيه.
- **الوجه الخامس**: المنع بالسند القطعي، فيقال: كيف والسلف يروون القصة دون استنكار لها، وهم أغير على دينهم من الشوائب والضلالات وأعلم بكتاب الله ولغة الغرب من الزاعمين تنقيح الإسلام والدفاع عنه.
- **الوجه السادس**: الاستفسار عن الاشتراك المدعى في قولهم «الآيات القرآنية ذكرت **اشتراكهما** في الخطيئة» لاحتماله معنيين، فإن قصد:
  - الاشتراك التام فممنوع.
  - وإن قصد مطلق الاشتراك لم تقم لهم حجة؛ لأن الاشتراك في الفعل لا يلغي أسبقية التزيين، واللوم واقع من هذه الجهة.

الاعتراض الثالث: متجه على سياق القصة.

وتَذكر إحداهن هذا الاعتراض على سياق القصة في العهد القديم قائلة: «جعل المرأة هي الشخصية الفاعلة التي تدير الحديث، بينما نجد أن **شخصية الرجل ظلت بعيدة ومغلوبة على أمرها**... إضافة إلى هذا فإن النص **ركز على براءة الرجل** وأثبت خطأ المرأة باستخدام عبارة: (أعطت رجلها أيضا معها) مما يدل على **قصد المرأة دون الرجل، وكأنه لا دور له في تنفيذ الخطيئة بل كان كالمتفرج**»[3].

وهو كلام فاسد من وجوه، بل يغني سوقه عن إبطاله، لكن نشتغل بإفساده رياضة:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٠)، ومسلم (١٤٧٠).

(٢) سيأتي ذلك عند نقل أقوالهم تحت موضوع مثارات الغلط.

(٣) مفهوم النسوية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، أمل الخريف، مركز باحثات، ص٤٥

- **الوجه الأول**: أن العبارة لا تدل على ما ذكرته، فإنه لا يعرف في أي لغة إذا قيل زيَّن فلان الشيء لفلان وأعطاه إياه، دل على أن المزيَّن له بريء، ولا أفهم ظاهر النص التوراتي شيئا من ذلك.
- **الوجه الثاني**: المذكور في سفر التكوين أن آدم شريك في الخطيئة كما سبق في النقل من العهد القديم، وقد جازى الله آدم عليه السلام على مخالفة أمره فقيل له: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ، بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ».
- **الوجه الثالث**: أن غاية ما يمكن للنص التوراتي إفادته هو أن آدم **لم يغو من إبليس**[١]، **ولم يزين لحواء الأمر، أو يبتدر الأكل**، أما قصد الأكل، ووقوع ذلك منه اختيارا، فمسلم.
- **الوجه الرابع**: أن القول بأن إبليس لم يُغوِ آدم مباشرة مأثور عن أئمة الإسلام كسعيد بن المسيب -أحد الفقهاء السبعة وصهر أبي هريرة-، لكن هؤلاء اتخذوا الكتابيين ستارًا لرد مقولات السلف.

وهذا الاعتراض السابق يشحذ العواطف، وهو خلو عن البرهان، وبالجملة فإن هذا المسلك من مسالك السفسطة، وقد ذكرت طرفا من التحامل الباطل على أهل الكتاب في مقالة عن بولس والمرأة، ولولا كراهة الخروج عن المقصود لنقلت الكلام بتمامه تكميلا للفائدة.

• مثارات الغلط في مناقشة القصة:

اعلم أن على الناظر في المسائل الشرعية مراعاة «ثلاثة محاور رئيسة: أصل، وآلة، ووسيلة. فأما الأصل فهو الأدلة الشرعية التي عليها أمر الديانة، وأما الآلة فهي أصول الاستنباط وقواعده، وأما الوسيلة فهي كلام الأئمة الأثبات وأهل العلم الثقات»[٢].

---

(١) ولهذا يقول بولس في رسالته إلى ثيموتاوس «وآدم لم يغو، ولكن المرأة أغويت، فحصلت في التعدي».

(٢) جسارة الانتقاء وأكذوبة التقليد - فساد منهج التساهل في الفتوى بدعوى التيسير، عبد الله البطاطي.

مثار الغلط الأول: إهمال الأدلة الشرعية الأخرى للقصة.

لا يخفى أن من مصادر التفسير الأولية: القرآن والسنة، فإذا جاءت القصة مجملة في كتاب الله عز وجل، ومفصلة في سنة رسوله ﷺ؛ فلا ينبغي إهمال هذا البيان أبدا. ثم من المصادر المعينة على الفهم: أقوال السلف من الصحابة والتابعين، والإسرائيليات.

- **أولا: الأحاديث النبوية.**

قال النبي ﷺ «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» وهو حديث صحيح قد جاز القنطرة برواية الشيخين له. وفيه إشارة لما ورد من تزيين حواء لآدم الأكل من الشجرة.

- **ثانيا: أقوال الصحابة والتابعين.**

ولأن من «سبيل الراسخين في العلم التكثر بموافقة الصحابة»[1]، فلا ينبغي النظر إلى أقوالهم نظرة تقلل من شأنها، بل هم رضي الله عنهم في أعلى مراتب الفهم والبيان، ولا ريب أن قولهم أولى بالقبول من قول الذين بعدهم، كيف وجمهور من بعدهم يوافقهم!

روي عن ابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ أن الشيطان كلم الحية «أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فقمها، فمرت الحية على الخزنة، فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر، فكلمه من فقمها فلم يبال كلامه، فخرج إليه قال: ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾؟ يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكا مثل الله عز وجل أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا؟ وحلف لهما بالله ﴿إني لكما لمن الناصحين﴾... **فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت**: **يا آدم كل**؛ فإني قد أكلت فلم يضرني، فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما» [2].

---

(١) التحرير في أصول التفسير، مساعد الطيار، ص٩٠.

(٢) جامع البيان، ج١، ص٥٦٣. وقد ذكر عمار الجماعي في كتابه «الإجماع في التفسير» (ص/ ٧١): أنه حسن في أقل أحواله، نقله عنه فهد الغفيلي في «خلق حواء بين الوحي والنسوية» (ص/ ٦٧).

وجاء عن ابن عباس أنه قال: «لما أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها، قال آدم: **رب زينته لي حواء**، قال: فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها، ودميتها في الشهر مرتين، فرنت حواء عند ذلك، فقيل لها: الرنة عليك وعلى بناتك»(١).

فهذان الخبران صرحا باستجابة حواء أولا، وتزيينها الأكل لزوجها.

وعن أبي بن كعب: «أن آدم لما حضره الموت قال لبنيه: أي بني إني أشتهي من ثمار الجنة. فذهبوا يطلبون له فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه، ومعهم الفؤس والمساحي والمكاتل. فقالوا لهم: يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون؟ أو ما تريدون وأين تذهبون؟ قالوا: أبونا مريض فاشتهى من ثمار الجنة. قالوا لهم: ارجعوا فقد قضي قضاء أبيكم. فجاؤوا، فلما رأتهم حواء عرفتهم، فلاذت بآدم، **فقال: إليك عني فإني إنما أوتيت من قِبَلك.** خلي بيني وبين ملائكة ربي تبارك وتعالى. فقبضوه وغسلوه وكفنوه...»(٢). وهذا الخبر ظاهر في أن حواء هي التي زينت الأكل لآدم. بل حكى الطبري عن سعيد بن المسيب أنه كان: «يحلف بالله ما يستثني: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر قادته إليها، فأكل منها»(٣).

- **ثالثا: الإسرائيليات.**

وأخرج القصة الطبري عن وهب بن منبه قال: «لما أسكن الله آدمَ وذريته أو زوجته -الشك من أبي جعفر- وهو في أصل كتابه "وذريته"، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرةً غصونها متشعِّبٌ بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم، وهي الثمرة التي نَهى الله آدمَ

(١) المطالب العالية، ج١، ص١١٩. هذا خبر صحيح عنه كما قال ابن حجر في المطالب والفتح، وقال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي. فإن قيل: هذا من الإسرائيليات. قلنا: هي دعوى بلا برهان. ثم لو سلم ذلك فإن هذا لا يقتضي بطلانه، كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

(٢) منسد أحمد (٢١٢٤٠).

(٣) جامع البيان، ج١، ص٥٦٦.

عنها وزوجته. فلما أراد إبليس أن يستزلَّهما دَخل في جوف الحية، وكانت للحية أربع قوائم كأنها بُخْتِيَّة، من أحسن دابة خلقها الله فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء فقال: انظري إلى هذه الشجرة! ما أطيبَ ريحَها وأطيبَ طعمها وأحسن لونها! **فأخذت حواءُ فأكلَتْ منها ثم ذهبت بها إلى آدم** فقالت: انظرْ إلى هذه الشجرة! ما أطيبَ ريحها وأطيبَ طعمها وأحسنَ لونها! فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتُهما»[١]. وهي بمعنى ما في سفر التكوين وما روي عن ابن عباس وغيره. وهي دالة على أولية الإغواء، وصريحة في تزيين حواء الأكل لآدم.

- **حكم الإسرائيليات:**

مجيء الخبر في الإسرائيليات لا يستلزم بطلانه؛ لأن الإسرائيليات على ثلاثة أقسام[٢]:

١- ما نجزم بصحته؛ لموافقته القرآن والسنة، فهذا مقبول.

٢- ما نجزم بكذبه؛ لمناقضته القرآن والسنة، فلا يروى إلا لبيان بطلانه؛ كالموضوع.

٣- ما لا يقطع فيه بحكم؛ لأنه مسكوت عنه، فتجوز حكايته.

وإذا علم أن السلف أعمق هذه الأمة علما وإيمانا، وأدرى بما يناقض الإسلام وما يوافقه، وعلم أنهم رووا هذه الأخبار في تفسير القرآن، ثم أهل العلم بعدهم نقلوها لا يرون فيها بأسا، علم خطأ من ردها، إذ لو كانت باطلة لكانوا أحق منا بردها، ولذا يقول ابن تيمية: «وما نقل في ذلك عن بعض الصحابة نقلا صحيحا فالنفس إليه أسكن مما نقل عن بعض التابعين؛ لأن احتمال أن يكون سمعه من النبي ﷺ أقوى، **ومع جزم الصاحب فيما يقوله، فكيف يقال: إنه أخذه عن أهل الكتاب** وقد نهوا عن تصديقهم؟»[٣].

---

(١) جامع البيان، ج١، ص٥٦١.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الفكر، ج١ ص٥.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص٢٢. باختصار يسير.

مثال الغلط الثاني: إهمال فهوم العلماء للنصوص السابقة.

ولأن الإنسان: «ينبغي عليه أثناء السير في طريق الاستنباط وطلب الحق أن ينظر في كلام العلماء الأعلام من محدثين ومفسرين وفقهاء وغيرهم، ويستعين به لفتح مغاليق الفهم، ومضايق النظر، وعويصات المسائل، ويستلهم منه تقريب المعاني وحل المعضلات، وبيان المشكلات»[١]، فهاك طرفا من كلام بعض العلماء في هذه المسألة.

قال أبو العالية (ت: ٩٣هـ): «فأتى الشيطان حواء **فبدأ بها.. فبدأت** حواء فأكلت منها»[٢]، ونقل الطبري (ت: ٣١٠ هـ) القصة في تفسيره مقرا بما جاء فيها إجمالا[٣]. وقال القاضي عياض (ت: ٥٤٤هـ): «فأشبهنها في الولادة ونزع العرق، لما جرى لها في قصة الشجرة مع إبليس، **وأن إبليس إنما بدأ بحواء** فأغواها وزين لها... **ثم أتت آدم فقالت له مثل ذلك حتى أكل**»[٤]. وقال ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): «وكانت حواء **أكلت من الشجرة قبل آدم، وهي التي حدته على أكلها**، والله أعلم، **وعليه يحمل الحديث**»[٥]. وقال أبو زرعة العراقي (ت: ٨٢٦هـ): «ومعنى الحديث أنها أم بنات آدم فأشبهنها، ونزع العرق إليها لما جرى لها في قصة الشجرة مع إبليس **فزين لها أكل الشجرة فأغراها فأخبرت آدم بالشجرة فأكلا منها**، وليس المراد خيانة في فراش فإن ذلك لم يقع لامرأة نبي قط»[٦]. وقال ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ): «وقوله لم تخن أنثى زوجها فيه إشارة إلى ما وقع من حواء **في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة** حتى وقع في ذلك فمعنى خيانتها أنها **قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم** ولما كانت هي أم

---

(١) من مقالة الشيخ عبد الله البطاطي في جسارة الانتقاء، بتصرف يسير.

(٢)جامع البيان، ج١، ص٥٦٤.

(٣) انظر جامع البيان، ج١، ٥٦١ و٥٦٣، وج٢، ص١٨٩.

(٤) إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم، القاضي عياض المالكي، ج٤، ص٦٨٢.

(٥) البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، ج١، ص١٨١.

(٦) طرح التثريب في شرح التقريب، زين الدين العراقي، ج٧، ص٦٥.

بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة **وحسنت ذلك لآدم** عد ذلك خيانة له»[١]. وقال العيني (ت: ٨٥٤هـ): «ومعنى "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها": **أنها دعت آدم** إلى الأكل من تلك الشجرة»[٢]. وقال السيوطي (ت: ٩١١هـ): «**ألجأت آدم إلى الأكل من الشجرة مطاوعة لعدوه** إبليس وذلك خيانة له»[٣]. وقال السعدي (ت: ١٣٦٧هـ) في مجموع الفوائد واقتناص الأوابد: «أحسنُ ما يحمل عليه الحديث أن حواء -عليها السلام- قيل: **إنها حسَّنت له الأكل من الشجرة حين وسوس لهما الشيطان**، فاجتمع على آدم تغرير الشيطان وتسويله، وتحسين زوجته له، فوقع الأكل»[٤].

وقد حمل آخرون الخيانة على (**ترك النصيحة**) كابن الأثير[٥] وابن الجوزي[٦] وابن هبيرة[٧]، وليس هذا بمناقض للمعنى الأول، لإمكان اجتماع الأمرين وقد ذكره بعضهم[٨]، وذاك أن الخيانة أعم من ترك النصيحة، فهي تتضمنه وزيادة. ولو سلم تنزلا أن المعنى الأول -أي: التزيين- مخالف للثاني -أي: ترك النصيحة- ولزم الترجيح؛ فالثاني مرجوح لأمور:

◊ **أولا**: لما تقدم من الأخبار المأثورة عن الصحابة والتابعين.

◊ **ثانيا**: لمخالفته كلام الجمهور من العلماء.

◊ **ثالثا**: لمخالفته ما في العهد القديم والإسرائيليات.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٧، ص٦١٢.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، الناشر: إحياء التراث العربي، ج١٥، ص٢١١.

(٣) شرح صحيح مسلم، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، ج٤، ص٨٠.

(٤) مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدي، ج٢١، ص٥٣.

(٥) جامع الأصول، أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ج١٠، ص٣٢٥.

(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج بن الجوزي، تحقيق: علي البواب، ج٣، ص٥٠٤.

(٧) الإفصاح عن معاني الصحاح، الوزير ابن هبيرة، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، ج٧، ص٢٣٠.

(٨) انظر: دفاع عن الحديث النبوي الشريف في ضوء نظرية توريث الطباع، رياض الطائي، ص١٢.

وبه تعلم خطأ ما في كتاب «فتاة الضباب» حيث جاء فيه: «بعضهم قالوا المقصود بالحديث: تزيين حواء لآدم الأكل من الشجرة، **وقال بهذا علماء كثيرون**، منهم ابن حجر، فإنها لما حسّنت لآدم الأكل من الشجرة، عد ذلك خيانة، وهؤلاء استندوا على: أحاديث ضعيفة، وإسرائيليات جاءت بهذا المعنى، إلا أن هذا لا دليل عليه من ظاهر الكتاب والسنة.

وثمة معنى آخر ذكروه، فإنهم قالوا: إن خيانة حواء لآدم المقصود بها: ترك النصيحة له في أمر الشجرة، لا غير ذلك وقال بهذا مجموعة من العلماء ومنهم ابن الجوزي. هذا القول هو الأقوى من وجهة نظري»[١].

ويناقش من وجوه:

- **الوجه الأول**: منع دعوى ضعف هذه الأخبار، بل فيها ما يرتقي إلى رتبة الحسن أو الصحيح، ثم هي بمجموعها تدل على ثبوت ذلك.
- **الوجه الثاني**: معارضة مسلكها بمسلك السلف في توظيف الاسرائيليات لبيان المعاني وتفصيل المجملات، إذ جعلوها مصدرا من مصادرهم، وعليه: فالإسرائيليات من المرجحات الصحيحة[٢].
- **الوجه الثالث**: قلب تعليلها عليها، فيقال: ترجيح المعنى الثاني: «لا دليل عليه من ظاهر الكتاب والسنة» كالأول؛ إذ ترجيحها لم يقم لا على خبر صحيح ولا ضعيف، بل اعتمدت على الذوق في بيان مأخذ الترجيح فقالت: «لأن الرجل تعترض حياته عدة ابتلاءات فإن كان له زوجة عاقلة وفية فإنها تكون له ناصحة»[٣]، وإن كان ولا بد من الترجيح فالمعنى الأول راجح؛ لوروده عن السلف، ولكونه قول الجمهور من العلماء، ولموافقته الإسرائيليات كما سبق. والقول الأقوم والطريقة الأسلم: الجمع بين القولين ما أمكن.

---

(١) فتاة الضباب ص٢٠، باختصار يسير.

(٢) انظر التطبيقات في كتابه التحرير في أصول التفسير، مساعد الطيار، ص١٤٥ – ١٥٠.

(٣) فتاة الضباب، ص٢٠.

مثار الغلط الثالث: إهمال شروحات سفر التكوين لهذا النص.

ولأن من الإنصاف أن لا يبتدئ المرء نقض مقالة حتى يفهمها، فالاطلاع على ما كتب في تفسير الأسفار من الأهمية بمكان. وإذا تبين لك أن كثيرا من أولئك القوم لم يفهموا النص كما فهمه المعترضون -مع عدم احتماله لبعض ما ذكورا-؛ علمت خطأهم في ذلك، وهاك جملة من عبارات التفاسير حول قصة الخطيئة: قال يوحنا المقاري: «**خطيئة آدم أولا وقبل كل شيء: مخالفة وصية الله** من أجل الحصول على المعرفة.. تعدى وصية الله وأكل من شجرة معرفة الخير والشر بغواية الحية ظنا منه أنه بالأكل منها يحصّل المعرفة. ولكن كيف أغوت الحية الإنسان؟ بدأت الحية حديثها مع حواء أولا، ولعلها اختارت حواء؛ لأنها لم تكن حاضرة أمر الله المباشر لآدم بعدم الأكل من الشجرة.. استغل إبليس بدورانه حول آدم ودخوله إليه من خلال حواء للتأثير عليه؛ لأنه كان يعلم أن حواء لم تسمع الوصية من الله مباشرة بل سمعتها من آدم، فلعل شيئا ما قد خفي على آدم وها هو ذا إبليس يوضح لها ما خفي عليه»[1]. وقال القمص تادرس في شرحه: «عندما التقى الله بالإنسان خلال مبادرته بالحب، بالرغم من هروب الأخير وتخوفه، **فإن الأخير لم ينكر خطأه لكنه برر خطأه بإلقاء اللوم على الغير،** فقال آدم "المرأة التي جعلتها معي هي التي أعطتني من الشجرة فأكلت" وقالت المرأة:"الحيّة غرّتني فأكلت". **هكذا ألقى آدم باللوم على حواء بل على الله الذي أعطاه حواء،** وألقت المرأة باللوم على الحيّة، ولم يعتذر أحد منهما عما ارتكبه»[2]. وجاء في الموسوعة الكنسية: «ويلاحظ أن الحية ذهبت إلى حواء وليس إلى آدم لأن حواء تتميز بالعاطفة فيمكن استمالتها إلى الخطية من خلال عواطفها ثم إن حواء هي مُعينة آدم وأنيسته، فهي

---

(١) شرح سفر التكوين، يوحنا المقاري، ص١٣٤.

(٢) شرح سفر التكوين، تادرس يعقوب. لكن جاء في السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم، لوليم مارش ج١ ص٥٦ ما يعارض ذلك، حيث قال: «ومن الخطأ أن نظن أن آدم حاول بذلك أن يجعل اللوم على حواء ثم على الله الذي أعطاه إياها، فالأولى أن نفهم أن آدم أجاب بالواقع التاريخي حسب الظاهر».

أقرب مخلوق إليه ويمكنها التأثير عليه، فرغم أن عقله قد يرفض كلام الحية ولكن علاقته بامرأته وتعاطفه معها **ساعد** على سقوطه في الخطية»[1]. وجاء في قاموس الكتاب المقدس: «أمره الله أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر لئلا يموت موتا، **ولكنه تعدى الأمر** فحق عليه حكم الموت ولعنت الأرض بسببه وحكم عليه أن يأكل منها بالتعب كل أيام حياته وطرد من جنة عدن». وجاء فيه: «ألحت حواء على آدم أن يأكل فسمع لقولها **وشاركها ذنبها** وكانت النتيجة سقوط الإنسان»[2]. وجاء في التفسير المسيحي القديم عن أفرام: «سارعت حواء وأكلت قبل زوجها ثم أعطته فأكل. **لولا نهم آدم وحواء** المجرب لما استطاع كلامه أن يوقعهما في الخطيئة.. فالنهم كان مدعاة للأخذ بمشورة الحية وقد آذاهما أكثر من مشورة الحية»[3]. وقال أفرام في التفسير المنسوب إليه: «ولم يقصد -أي إبليس بسؤاله- آدم، لعلمه أنه أفهم من حواء، وربما فطن به، بل قصد من يأنس إليها آدم ويرجع إلى قولها. وصنع له الطغيان بها، وهذا فعله مع كل من يحذره ويعرف بشره، ويحرص أن يطغيه ويهلكه بمن يأنس إليه إما بامرأته أو بولده أو بأخيه أو بصديقه. يجب على كل من يحذر فخاخ العدو أن يحذر ممن يقرب منه هكذا لكي لا يخدعه الشيطان؛ لأنه ليس هو أفضل من آدم، **ولا الذي يتبعه ويقرب منه أفضل من حواء**»[4]. ومن هذه النقولات يتبين لك بطلان قول القائل:

- ◊ شخصية الرجل ظلت بعيدة **ومغلوبة على أمرها**.
- ◊ النص **ركز على براءة الرجل**، أو أهل الكتاب يبرئون الرجل.
- ◊ القصة **تصور أن الرجل لا دور له** في تنفيذ الخطيئة بل كان كالمتفرج.

فلا هي صريح النص ولا ظاهرة ولا مفهومه، ولا هو مشهور كلام مفسريهم.

---

(١) المجموعة الكنسية لتفسير العهد القديم، إعداد: مجموعة من الكهنة والخدام، ص٤١.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس المشرقية، ص٣.

(٣) التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس، نقله من اللغة الأصلية: ميشيل نجم، ص١٣١ و١٣٢.

(٤) تفسير سفر التكوين، منسوب إلى أفرام السرياني، ص٤٧.

مثار الغلط الرابع: جعل المسكوت عنه نقيض المنطوق به.

إن من غلط المعارضين للقصة جعل سكوت القرآن عن التفاصيل المتعلقة بـ:

- أولية الإغواء أو الامتثال.
- ووقوع التزيين من حواء لآدم.

مناقضا لما نطق به العهد القديم أو ما روي في الإسرائيليات، بحيث يستحيل اجتماعها معا، وهذا غير صحيح؛ فإن الإجمال لا يناقض التفصيل، فاجتماعهما ممكن كما في قصص كثير من الأنبياء، حيث يذكر القرآن قصة مجملة، ثم تأتي الإسرائيليات بتبيين المجمل، وتعيين الأسماء، ورفع الاشتباه، وذكر الأسباب والتفاصيل. وأيا ما كان، فمسلكهم واضح بطلانه إن شاء الله، والقصد التنبيه والإشارة.

جدول مقابلة القصة:

القصة في سفر التكوين	القصة في القرآن والسنة والأثر
وَأَوْصَى الرَّبُّ آدَمَ قَائِلاً: مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا، لَأَنّكَ يومَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتاً تَمُوت. وَقَالَ الرّبّ الإِلَه لَيسَ جَيدًا أَنْ يَكُونُ آدَمُ وَحْدَه فَأَصْنَعُ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَه... وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ	القرآن: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلَّاهُمَا

اللهُ: لاَ تَأْكُلا مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ».	بِغُرُورٍ﴾، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾، ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾. **الأثر**: «الشيطان كلم الحية أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فقمها».
فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ.	**القرآن**: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾. **السنة**: «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر». **الأثر**: «فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كل؛ فإني قد أكلت فلم يضرني».
فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ.	**القرآن**: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾
وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ. فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ». فَقَالَ:	**القرآن**: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ **الأثر**: «فانطلَقَ هاربًا في الجنَّةِ فتعلَّقَتْ برأسِه شَجرةٌ مِن شجرِ الجنَّةِ، فقالَ لها: أرسِليني، فقالَت: إنِّي غيرُ مُرسِلَتِكَ،

«مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لاَ تَأْكُلَ مِنْهَا؟»	فناداه ربُّهُ عزَّ وجلَّ: يا آدمُ، أَمِنِّي تفرُّ؟ قال: ربِّ إنِّي استَحييتُكَ».
فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ».	**الأثر**: «قال آدم: ربي زينته لي حواء».
فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذَا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ، عَلَى بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ».	
وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ».	**الأثر**: «فإني قد أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها، ودميتها في الشهر مرتين».
وَقَالَ لآدَمَ: «لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلاً: لاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى	**القرآن**: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾

تُرَابٍ تَعُودُ.... فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ الإِلهُ مِنْ جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ الَّتِي أُخِذَ مِنْهَا.	
	القرآن: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾

تنبيهات:

- ما في السياقين من فروق وتفصيلات، لا تؤثر على جوهر القصة الأساس من خلق آدم، ثم حواء منه، ونهيهما عن أكل الشجرة، وتزيين الشيطان لهما، وبدو عوراتهما، وإخراجهما من الجنة.
- سكت القرآن عن تفاصيل معينة، كالحية، ونوع الشجرة، ووقت النهي، ومن بدأ إبليس بإغوائه، والخيانة، وغيرها. وقد جاء في المأثور التنصيص على بعض الأمور السابقة.
- **عدم بطلان معنى في نص معين في سفر من الأسفار لموافقته كلام الصحابة والتابعين، لا يقتضي القطع بصحة كل ما ورد من التفاصيل في الكتاب المقدس، أو ما ورد في كلام علمائهم**، فليفهم الكلام على وجهه.

ختاما:

قد ينزعج كثير من القراء من التقريرات السابقة، لما فيها من معارضة لما توهموه تكريما للمرأة، ولما اعتادوا عليه في الجدل من حط على الديانات الأخرى، فـ«عادة الناس الميل لما يألفون». ولكن بعد البيان فلا يسمع إلا لصاحب برهان.

والحمد لله رب العالمين

كتبه/ المنهوم الحنبلي